منهجية إصلاح المجتمع في ضوء السيرة النبوية(صلى الله عليه وسلم) دراسة من خلال الشيخ الندوي (رحمه الله)

The methodology of Social Reform in Prophetic Seerah A study of Nadawi's authorship

الدكتور عادل شاه بن علي اصغر شاه

adilshahgillani29@gmail.com

Abstract

The methodology of Sheikh Abu Al Hasan Ali Al-Nadawi(رحمہ اللہ) in explaining the reform of social interaction through the Prophet's(ﷺ) biography is based on self-purification, practical example, mercy, justice, consideration of people's natures, and presenting the complete Prophetic model that reforms individuals and societies.

In his writings on the Prophet's(ﷺ) biography, Sheikh Abu al-Hasan Ali Al-Nadawi (رحمہ اللہ) presents a comprehensive educational and ethical methodology for improving relationships among members of society. He believes that improving relationships can only be achieved by returning to the practical model embodied in the Prophet's (ﷺ) conduct, as he is the exemplar in dealing with others, gentleness, justice, reconciliation, and humility towards both young and old. He emphasizes that repairing relationships begins with repairing hearts, through instilling faith, strengthening inner conscience, and developing a sense of awareness and piety, because conduct is the fruit of belief.

Sheikh (رحمہ اللہ) focused on refining the soul, controlling anger, improving morals, and being patient with the harm inflicted by others. In his view, the Prophet's(ﷺ) biography, is a school for creating a balanced person who treats his family and community well. He explains that the Prophet, (ﷺ) established a refined society through mercy, not violence, and reformed souls through tolerance, forgiveness, and kindness. This is the basis for reforming relationships within the family and society.

He emphasized the justice of the Messenger(ﷺ) in all his dealings: between his wives, his companions, and his family, which makes justice an important pillar in reforming social relations. He points to the style of the Messenger(ﷺ)in addressing his companions and his family with kind and refined words, and calming souls. Taking into account everyone's feelings, which reflects the importance of constructive dialogue in the life of a Muslim. He explains that the Prophet's (ﷺ) methodology in reform was truly

practical, dealing with situations in a manner appropriate to the time, place, and circumstances, far from rigidity and excessive leniency.

In conclusion, Sheikh Nadawi's methodology in addressing the reform of social interaction in the Prophet's (ﷺ) biography is based on reviving the Muhammadan model of mercy, morality, justice, and building the human being from within. It is an educational methodology that aims to reform the individual and society together through the biography as a way of life.

Keywords: Methodology, social interaction, purification, reforms, Muhammadan model, dialogue, circumstances.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه أجمعين. أمّا بعد:

فإنّ الخطاب التربوي والدعوي الذي يقدّمه العلماء الربّانيون عبر مؤلفاتهم ورسائلهم يعدّ من أهمّ المنابع التي تُستقى منها التوجيهات الشرعية، والمبادئ الأخلاقية، والأسس المنهجية التي تحتاج إليها الأمّة في نهضتها وإصلاح واقعها، وتأتي رسائل العلماء المتقدمين والمتأخرين على حدٍّ سواء لتؤكد شمولية الإسلام، واتساع دائرة خطابه ليشمل مختلف فئات المجتمع، من العلماء وطلبة العلم، إلى القادة وصنّاع القرار، إلى الرجال والنساء على حدٍّ سواء.

ويندرج هذا البحث ضمن هذا الإطار، حيث يتناول جملة من الموضوعات التي تضمّنها خطاب أحد الأعلام – رحمه الله – موجّهًا إياها إلى طوائف متعددة من أبناء الأمة، مبيّنًا مسؤولياتهم، ومحذّرًا من التقصير في واجباتهم، وداعيًا إلى التزكية والإخلاص وإحسان العمل، وقد جاءت عناصر البحث موزعة على مباحث تستعرض خطاب العلماء، ومسؤوليات طلبة المدارس الإسلامية، والنظر في الخطاب الموجّه للعسكرية الإسلامية، ثم بيان مسؤولية قادة الأمة، مع تسليط الضوء على أهمية دور النساء وفعاليتهنّ في ميادين الدعوة والإصلاح، كما خُصّص جزء من البحث لبيان أثر تزكية الباطن وإخلاص العمل في بناء الفرد والمجتمع.

تنبع أهمية هذا البحث من طبيعة الموضوعات التي يتناولها؛ فهي موضوعات تمسّ جوهر الإصلاح، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بواقع الأمة والتحديات التي تواجهها، كما يسعى البحث إلى إبراز جماليات الخطاب الشرعي،

وعمق توجيهات العلماء، واستحضارها في معالجة قضايا العصر، وقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في تناول هذه الموضوعات، مع الرجوع إلى المصادر الأصلية التي وردت فيها النصوص والتوجيهات، خاصة المصادر التي يتعلق من السيرة النبوية صلى الله عليه وسلم.

التمهيد:

إن إصلاح المجتمع وطريقة التعامل معها هو أساس قيام حكومة إسلامية، إذا كان المجتمع لا يراعي حسن التعامل ، فلا اعتبار لأي شيء آخر، وضرب الشيخ مثالا لذلك بفرع (غصن) تعشيش الطيور(شاخ نشیمن ومراده "الملجأ")، إذا وجد الغصن أولا حينها يُسأل عن "التعشيش" كيف سيكون؟ ولكن إذا لم يكن هناك فرع ، فلا يمكن وجود التعشيش.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-" الغصن الذي سيكون عليه التعشيش، هذا الغصن هو "المجتمع"، وهي الحياة العادية للبلد، الأشخاص الذين يمشون في المدينة، أولئك الذين يشترون ويبيعون في السوق، أولئك الذين يعملون في المصانع، والذين يقومون بالتدريس في المدارس والجامعات ، هذا هو عدد السكان الحقيقي، وما هي الموازين التي عليها يحب ويكره؟ ما هي مشاعرها؟ ما مقدار القدرة التي يجب أن يتحملها؟ كل هذا يتوقف على كيف يكون مجتمعنا، كيف حال مجتمعنا اعتقاديا وأخلاقيا؟ هل الأشياء الأساسية للحياة، المبدأ الأول، تحقق الشروط الأساسية للإنسانية أم لا؟"[1].

ويرى الشيخ أنه إذا أصبح الميل إلى المعصية والأنانية هو مزاج المجتمع، لا يمكن لأي عمل أن ينجح بتجاهله، ويكتب موضحا ذلك: "إذا كنت ترغب في بناء ملجأ، فكر في الفرع الذي سيُبنى عليه الملجأ، في أي حال هو؟إذا كان هناك المئات من الأشخاص في هذا الفرع ولا يوجد سوى بانٍ واحد، وأعتقد أنه يتمتع بمستوى عالٍ من السعة والموارد الكاملة، ولكن حيث يوجد الآلاف من الأشخاص الذين يديرون القارب، فهو رجل وحيد يريد القيام بعمل بناء، لا يمكنه أن يقوم بذلك لوحده وينجح[2].

[1] – انظر: دعوة فكر و عمل (بالأردو) للعلامة الندوي ص: 63-64.
See: Dawat-e-Fikr-o-Amal (in Urdu) by Maulana Nadwi, p. 63-64.

[2] – المصدر السابق، ص: ibid., p. 65. /.65

يقصد الشيخ رحمه الله أنك إذا تريد بناء مجتمع ما فقبل أن تركز على الأنظمة ركز على الأفراد وابن الأفراد أولا حتى يكونوا مستعدين لتطبيق شرع الله عز وجل فيطبق الشرع أولا على نفسه كل في مجاله البائع في تجارته والمدرس في تدريسه والعامل في عمله، ثم بعد ذلك سيجد له أعوانا يساعدونه على القيام بالإصلاحات المطلوبة.

وعبّر الشيخ الندوي-رحمه الله- عن فكرة أن المجتمع يأتي إلى الوجود من الأفراد والطبقات المختلفة، هذا هو السبب في أنه من الأهمية بمكان أن يتم إصلاح الأفراد وفهم المعاملات، وقال: "إن الوهم الذي يدور في أذهان الناس بأن مسألة الأفراد ليست بهذه الأهمية وأن الاجتماع لو صلح صلحت الأفراد هي القضية (المشكلة) حقيقةً، -ثم ذكر مثالا لقولهم هذا وقال: كأنهم يقولون بمنطقهم هذا أن السارق لو كان لوحده فهو سارق لكن لو كون السراق لأنفسهم اتحادا وجماعة لصلح السراق كلهم ثم قال: هذا المنطق لا يدخل في ذهني "[3].

وأعطى الله تعالى للشيخ الندوي- رحمه الله-شعوراً عظيماً وقلبا يهتم بأمور الأمة، قضى حياته كلها يفكر في خير الأمة ونموها، وقد خاطب كل طائفة من طوائف الأمة –العلماء وطلبة العلم ورجال الإعلام والعساكر، والنساء وغيرها من الطوائف- مبيناً نواقصها، وحدد الأمراض ومعايير علاجها، ولكن لهذا كله اتخذ الأسلوب الذي كان عليه الأسوة الحسنة (الرسول ﷺ)، الشيخ لم يسيء لأحد أعني الأشخاص، وإنما أنكر وهاجم المنكرات والبدع والشركيات بأسلوب حسن دون التعرض للشخصيات، فلم يهاجم أحداً أبدًا، اعترف بمزايا كل واحد، وقدّرها على أكمل وجه، وأصلحها بقدر كبير من الاجتهاد والتفاني عند الحاجة.

تلقى الشيخ مثل هذا التدريب من البيت والأسرة التي نشأ فيها فكانت أسرة علم وتقوى وورع، وكان لدراسته المبكرة أثر عميق عليه، فقد خاطب الشيخ الناس في مصلى العيد يوم العيد، ربما كان هذا هو

[3] - دعوة فكر و عمل، ص: 70.

Dawat-e-Fikr-o-Amal, p. 70.

الخطاب الأول للشيخ فبكى وأبكى الناس، وبعد صلاة العيد قال بعض شيوخ الأسرة وهو الشيخ: "علي ميان" له: لاتبك في العيد" لما رأى من حالة الناس وبكائهم وكأنهم ليسوا في العيد.

كانت هذه بداية جهود الشيخ الندوي-رحمه الله-للدعوة والإصلاح، يمتد نطاقه الزمني سبعة عقود ، وفيما يلي نماذج من خطاباته لمختلف الطوائف نستفيد منها منهجه في إصلاح المجتمع:

المبحث الاول

الخطاب للعلماء

ولفت الشيخ الندوي أنظار كل طبقة إلى تحسين المعاملات وتصحيح الأخطاء لإصلاح المجتمع، ولا سيما العلماء الذين هم أعظم دعاة هذه الأمة وورثة الأنبياء قد خاطبواهم مرارًا ولفتوا انتباههم إلى المسؤوليات التي على عاتقهم في الوقت الحاضر.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وينبغي على العلماء أن يقدموا نموذجا للحياة ليعلموا أنهم أفراد ينتمون إلى طبقة أخرى، هم ورثة ميراث الأنبياء عليهم السلام، هؤلاء هم نواب الأنبياء، هم ليسوا شهداء المادية ولا مجروحيها ولا قتيليها، الزهاد الذين لو ذهبت إليهم تعرف حقيقة الدنيا، على الأقل تعرف أن الثروة ليست كل شيء، فمن له حاجة إليك يأتي إليك ولو مائة مرة، دون أن تذهب إليه أنت، المهم نحن لا نقف على أبواب الناس، لا نذهب إلى باب أحد، فإن ذهبنا نذهب لدعوتهم إلى الدين، نذهب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نذهب لإحياء فريضة، أو سنة، لا نذهب لفائدتنا وغرضنا الخاص.[4].

وقال مخاطباً علماء مدينة "صيدا" اللبنانية:" ولاشك أن إصلاح الأمة وصلاحها يتوقف على صواب أهل العلم وصلاحهم، فإن كان العلماء على الصراط المستقيم، تكون الأمة أيضا على الطريق الصحيح، وإذا كان في العلماء انحراف وميل إلى أن يكونوا سطحيين وخاضعين للحالات في مواجهة الرغبات المادية، وفي تفكير وهمّ دائم في أن يكون مستوى معيشتهم أعلى، وكانوا معتادين على التساهل والاستدراج ، فسيكون لذلك حتماً تأثير سلبي على الناس.

[4] – الدعوة الفكر والعمل ،ص: 179.

Al-Dawa al-Fikriyya wal-Amaliyya, p. 179.

من الطبيعة البشرية أن تكون مفتونًا (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ)[5] لكن لا ينبغي أن يكون الدعاة مثل بقية الناس، كان المجتمع الإسلامي بداية يعامل العلماء باحترام، وينظر إليهم باحترام وكرامة كبيرين، لما كانوا متحلين بالزهد والقناعة واحترام الذات العالي ودرجة من البساطة.

لكن حال العلماء اليوم هو أنهم أيضًا منشغلون بكل سباق في سبيل الراحة، والآن لا يوجد تمييزٍ بينهم وبين أبناء وطنهم وأقرانهم، لذلك بدأ المجتمع ينظر إليهم بنفس عيون الناس، والآن لا مكان في نفوس الناس لأي نصيحة أو نقد للعلماء.

وقال في بيان صفات العرب لماذا بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى جزيرة العرب: "وكانوا واقعيّين جادّين، أصحاب صراحة وصرامة، لا يخدعون غيرهم ولا أنفسهم، اعتادوا القول السديد، والعزم الأكيد، يدلّ على ذلك دلالة واضحة"[6]

لا بد للعلماء من استعادة مكانهم الضائع للدعوة والتبليغ، بناء على إعتبارك ووعيك بقيمتك الدينية والإجتماعية، في تاريخ الإصلاح والتجديد، رأينا أنه كلما كان الإسلام والمسلمون في حالة اضطراب كبير، وعندما أصبح غيوم اليأس وعدم اليقين في كل مكان، ظهر عالم في مجال الإصلاح والجهاد، تحدى الأوضاع وقلب تيار التاريخ والأحداث، أدى واجب الحفاظ على أمن المعتقدات الإسلامية وعظمة الشريعة الإسلامية، لقد نفخ حياة جديدة في جسد الأمة، وأعطاها حياة جديدة.

نحن نرى هذا العمل باستمرار، من الحسن البصري إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، ومن ابن تيمية الحراني إلى الشيخ أحمد السرهندي –رحمهم الله–، ومن علماء وأئمة ربانيي هذا القرن، فقد حدث ذلك في كل عصر وفي كل قرن، وهذه السلسلة من الدعوات والوعظ والإصلاح والذكر ينبغي أن تستمر إلى يوم القيامة."[7].

---

[5] . آل عمران، الآية:14. /Aal-e-Imran, Verse: 14.

[6] . السيرة النبوية لأبي الحسن علي الندوي، ص:88.

Al-Sirat al-Nabawiyya by Abul Hasan Ali Nadwi, p. 88.

[7]– دریائے کابل سے دریائے یرموک تک للعلامة الندوي، المترجم: (من نهر كابول إلى نهر اليرموك)،ص: 143-145.

Darya-e-Kabul se Darya-e-Yarmouk tak by Maulana Nadwi, Translated as: (From Kabul River to Yarmouk River), p. 143-145.

الواجب الثاني للعلماء والمفكرين هو إعطاء الأولوية لكل مصلحة للإسلام على مصلحة كل طرف وكل مؤسسة وكل مدرسة وكل جماعة، أقول لك بصراحة! إذا علمنا أنه يجب القضاء على جميع الأطراف، يجب إزالة جميع العلامات، ويجب إزالة جميع الأسماء، ويجب إزالة جميع اللوحات، وإذا ساد الإسلام في هذا البلد فلا ينبغي لنا أن نتردد لحظة، يجب أن نعتز بمصلحة الدين والأمة من كل طرف، كانت معجزة محمّد صلى الله عليه وسلم أنه أخرج من قلوب الصحابة رضي الله عنهم الفخر والاعتداد بأعمالهم."[8].

المبحث الثانى

مسؤولية طلبة المدارس الإسلامية

طلاب المدرسة كانوا مركز آمال الشيخ الندوي-رحمه الله-، لقد خاطب هو نفسه الطلاب مرارًا وتكرارًا في ندوة العلماء، ولفت الانتباه إلى الإصلاح، بالإضافة إلى ذلك، خاطب الشيخ الطلاب في مختلف دول العالم، في هذه الخطب قال الشيخ مرارًا: " أنا فرد من أفراد عائلتك ، ولا أحد يعرف العائلة مثل أحد أفرادها".

وصدرت مجموعة من هذه الخطب المؤثرة للشيخ باسم "پاجا سراغ زندگی[9]"، عن ذلك يقول مرتبه السيد محمد الحسني -رحمه الله-:" يتجلى الألم الذي ألقى به الشيخ في خطبه وجوهر معرفته الطويلة ودراسته وتجربته وملاحظته من سطور الكتاب"[10].

وما قاله الشيخ في هذه الخطب وما أكده نذكره بإيجاز:

ذكر العلاقة بين المعلمين والطلاب، وقال: "إفهم أنه يمكنك تكوين الأذواق الصحيحة والشوق السليم من خلال حضور اجتماعات هؤلاء المعلمين، لكن بشرط أن تجلس معهم معتمدا عليهم بعد الله عز وجل...

---

[8] – الدعوة الفكر والعمل، ص: 86-87.

Al-Dawa al-Fikriyya wal-Amaliyya, p. 86-87.

[9] – هذا كتاب للشيخ الندوي في الأردية، ومعناه (خذ سر الحياة)

This is a book by Sheikh Nadwi in Urdu, meaning: (Find the Secret of Life).

[10] – پاجا سراغ زندگی للعلامة الندوي، (خذ سر الحياة) ص: 9.

Pa-ja Suraagh-e-Zindagi by Maulana Nadwi, (Khuz Sirr al-Hayat), p. 9.

يوجد اليوم الخلا والفراغ في كل المدارس، وهذا يعني أنه لا توجد علاقة بين المعلمين والطلاب، بل هناك فجوة بينهما، وهم يقومون فقط بتدريس المعلمين وتعليم الطلاب، يجب سد هذه الفجوة ويجب سد هذا الفراغ، وهنا يكمن نجاح المدارس الدينية وتطورها"[11].

التأكيد على أهمية وضرورة العمل الجاد الشخصي، وقال: "التاريخ والتذكرة هما موضوعي، وأنا أعتمد على طلبي وخبرتي لأقول إنه لا يمكن لمدرسة أو كتاب أن يصنع إنساناً، بل الإنسان مصنوع بقوته وبعمله الشاق وجهده، إذا نظرت في قسم الأولياء، ستعرف أنهم كانوا الخدم المختارين، و لم يكن لديهم أوصياء، وكانت البيئة غير مواتية لهم، لكنهم أصبحوا أوصياء مثاليين بعملهم الجاد وعطشهم"[12].

يشرح مسؤوليات الطلاب ويقول: "يجب أن تتحلى بالشجاعة والعزم حتى لا تفكر في مسألة التخلي عن الدين حتى عن نقطة واحدة في مقابل المادة، يجب أن يكون قلبك مليئًا بروح الحماية والمساعدة، ويجب أن يكون قلبك مليئًا بالفخر والامتنان لهذه الثروة التي لا تقدر بثمن، لديك إيمان لا يتزعزع في أصالتها، وعقلانيتها، وخلودها، وقدرتها في كل الأوقات، وتفوقها وسيطرتها، وبراءتها، وتعتبر كل شيء يقابلها، ويضادها جهلا وإرثا للجهل، ، وحيثما تسمع احكام الله وتعاليم الإسلام تقول: "سمعنا وأطعنا"، فقل لمخاطبة رواد الجهل هناك: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[13].

إنك تؤمن بأن نجاة العالم في هدي الإسلام وأسوة محمد ﷺ، وتعتقد أن سفينة نوح عليه السلام هذه في طوفان نوح الآن ما هي إلا نبوة وقيادة محمدخاتم النبيين، إنك تعتقد أن شرط علو شأن وعزة الأفراد والأمم هو اتباع رسول الله فقط، وأنت تعلم أن تعاليم النبوة هي لب لباب العلم، وحقيقة الحقائق وفي مقابل هذا لا تحكم على جميع علوم الدنيا من إلهيات وفلسفة ما بعد الطبيعة والقياسات والرسومات أكثر من أنها قصص وخرافات، أنت تعلم حقيقة التوحيد وتلتزم به، وتصر عليه، وتنظر باحتقار إلى الشرك وكل علوم الأصنام في الدنيا كلها، حتى ولو بينوها بالاصطلاحات الفلسفية والعظمة والجلال، ولا ترضى بأكثر من القول بأنها

[11] – خذ سر الحياة ، (المترجم)، ص: 71-72.

Khuz Sirr al-Hayat, (Translated), p. 71-72.

[12] – المصدر السابق، ص: 59-60. / .60.-59 ibid., p. 59-60.

[13] – سورة الممتحنة، الآية: 4. /.4 Surah Al-Mumtahina, Verse: 4.

(زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) و أنت تحرص على اتباع السنة، وتؤمن بأن "خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم"، والمراد: أنك في اعتقادك وذهنك وفكرك وقلبك وذوقك وعملك قائل بشمول وعملية النبوة المحمدية وأنت تفسير عملي لها.

طلاب المدارس الدينية، شرح حقيقة ذلك وقال: "عزيزي! لماذا تشعر بالنقص؟ إن الشعور بالنقص لدى الآخرين مرض عقلي، لكن شعورك بالنقص دليل على الضعف الديني وضعف العقيدة وضعف الإيمان، وعواقبها بالغة الخطورة وبعيدة المدى، فإذا أدرك نواب الأنبياء ومن هم على علم بالنبوة دونيهم واحتقارهم، فهذا يعني أنهم لا يعرفون مكان النبوة ولا يقين.[14]

مؤكدًا على الحاجة إلى إعداد واسع وقدرات متنوعة، يقول: عزيزي! تمثيل الدين في عصر الثورة هذا، إن تفسير تعاليم الإسلام وليس فقط تفسيرها وفهمها ولكن أيضًا لإثبات صورة تفوقها وعظمتها يتطلب قدرًا كبيرًا من الإعداد وقدرات متنوعة، أنت جندي من جنود الإسلام، وتستعد لمعركة الحياة، أنسب مناظرة لساحة تدريب عسكرية وتشكيل الجيش هناك، أخطر بحث، والنقاش حول الأسلحة وأساليب الحرب القديمة والحديثة، وليس السلاح قديمًا ولا حديثًا بالنسبة للجندي، يبقى أن نرى أي سلاح يقع في ساحة المعركة، وأي أسلوب حرب، لا يوجد مجال للتعصب للجندي الجاهز، لا علاقة له بأي سلاح معين أو أي فن حرب معين، يجب أن يكون مسلحًا بكل الأسلحة اللازمة، قال الشاعر العربي منذ زمن بعيد: كل امرئ يسعى الى – يوم الهياج بما استعدا"[15].

ينصح الشيخ الطلاب بالثبات والاستقرار والعمل بالدين يقول:" أثبت أنك تقف على مثل هذه الجبهة وأن هذه المدفعة إذا تركت تلك الجبهة فلن يكون هناك من يتعامل معها، و تثبت أنك تقف في مقدمة الأخلاق، وتقف في مقدمة الروحانيات، وتقف في مقدمة خدمة الشعب، وتقف في مقدمة العلو الفكري، وتقف في مقدمة البحث العلمي، إذا تركت مكانك أو أبعدت عنك، فستكون هناك فجوة في الحياة لن تتمكن من سدها في الجامعات، ولا في المؤتمرات الأكاديمية، ولا في الأكاديميات ولا غيرها، هذا هو القانون الأزلي الذي

[14] – المصدر السابق، ص: ibid., p. 98. /.98

[15] – خذ سر الحياة (مترجم)، ص: 122–113.

Khuz Sirr al-Hayat (Translated), p. 113–122.

وضعه الله في هذه الآية من القرآن: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[16].

وقال:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعباء النبوّة والدعوة، وهمّ الإنسانيّة والأحزان والأثقال التي لا تحملها الجبال الرّاسيات قد تجلّى فيه الشعور الإنسانيّ الرقيق، والعاطفة الإنسانية النبيلة، في أجمل مظاهرهما، فمع صرامته وقوّة عزيمته التي يمتاز بها الأنبياء، والتي كانت لا تقيم في سبيل الدعوة وإعلاء كلمة الله، وامتثال أوامره لشيء قيمة أو وزنا، لم ينس أصحابه الأوفياء الذين لبّوا دعوته، وبذلوا في سبيل الله مهجهم وأرواحهم، واستشهدوا في معركة أحد إلى آخر يوم من أيام حياته، فكان يذكرهم، ويدعو لهم، ويزورهم"[17]

المبحث الثالث

خطابه – رحمه الله- للعسكرية الإسلامية

وصف الشيخ الندوي-رحمه الله- بشكل عام مسؤوليات المجاهدين في مواضع كثيرة في كتاباته، لكنه خاطب الجيش الإسلامي مباشرة في مناسبتين أو ثلاث، وفي إشارة إلى الموقف الذي كان سيحدث للشيخ أثناء خطاباته، قال:" عندما قاموا شبان مسلحون وصفونا بالطريقة الإسلامية، (وهذا أول مشهد رأيته في حياتي)، وهكذا مرت موجة من العزم والإيمان والفرح والصفاء في جسدي ونشأت حالة من الإثارة لم أشعر بها من قبل، كانت هناك دموع في عيني بسبب هذه الحالة، واشتعلت أعصابي[18].

وسلط الشيخ الضوء على أهمية الجهاد وأخيراً أولى اهتماماً خاصاً لأمرين، واحد على تصحيح النية والآخر هو تجنب المعاصي.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "الشيء الثاني الذي لفتت الانتباه إليه هو تجنب الخطيئة وكل ما هو سبب لغضب الله وضد متطلبات العون الإلهي، وكان عمر بن عبد العزيز قد كتب رسالة إلى أحد جنرالاته قال

---

[16] – سورة الرعد، الآية:17./ Surah Al-Ra'd, Verse: 17.

[17] . السيرة النبوية لأبي الحسن علي الندوي، ص:582.

Al-Sirat al-Nabawiyya by Abul Hasan Ali Nadwi, p. 582.

[18] – خذ سر الحياة (المترجم)، ص: 162.

Khuz Sirr al-Hayat (Translated), p. 162.

فيها: يجب ألا يخافوا من قوة العدو وأسلحته بقدر ما يخافون من الخطيئة وعصيان الله لأن الذنوب في رأيي أخطر من حيل العدو"[19].

المبحث الرابع

مسؤولية قادة الأمة

قال الشيخ في كثير من الأماكن أن الأمة تعتمد على القادة ورؤساء الأمة، وقال: "إذا أصبحت هذه الطبقة خائنة للأمة، فسيكون لذلك عواقب وخيمة للغاية، يشهد تاريخ هذه الأمة، جنبًا إلى جنب مع تاريخ وشخصيات الأمم والشعوب، على حقيقة أن نفس فئة الضمير أو اللامبالاة والأنانية والطموح والشهوة للسلطة قد أطفأت مصباح الإمبراطوريات العظيمة المستقرة وطويلة الأمد، أمة كاملة، أذلته وحافظت عليه، نهاية الخلافة العباسية، تدمير بغداد، احتلال الصليبيين للقدس، سقوط إمبراطورية المغول، سقوط قوة ميسور الصاعدة وفشل تيبو سلطان، هزيمة الأتراك والأماكن المقدسة والأراضي العربية كل هذا نتيجة قومية وشهوة للسلطة وأنانية هذه الطبقة، وإذا كان هذا الحزب صحيحًا، فستظهر أفضل النتائج"[20].

أعطى الشيخ مثالاً للقلب وأنه إذا تم إصلاحه، يصبح الجسم كله صالحا وسليما، وقال مثله:" الولاء الديني والعزة الوطنية لهذه الطبقة، والشجاعة الأخلاقية، والتضحيات المتواضعة، يؤمن مستقبل الأمة لقرون، وما لا يستطيع الملايين من الناس فعله في بعض الأحيان، يفعله هذا العدد القليل من الناس"[21].

وفي شرحه للصفات الجوهرية للرؤساء والقادات، يقول:" يتطلب أن يكون كل إنسان مصدر قوة للشخص الآخر، ودعمه، وصابرًا، ومستقيمًا في نفسه، وواعظًا للصبر والمثابرة للآخرين، عسى حياته وإيمانه وقناعاته وصبره وتوكله وعزمه وشخصيته السامية وسيلة غرس الإعتماد في الآخرين ومنارة لهم، برؤية هذه الخطوات

---

[19] – من النهر الكابل إلى النهر اليرموك، المترجم، ص: 272.

From Kabul River to Yarmouk River, Translated, p. 272.

[20] – خواص، ملت میں ان کا مقام اور ذمہ داریاں للعلامة الندوي، (لخواص في الملة ومقامها ومسؤوليتها)، ص: 22.

Khawas, Millat mein unka Maqam aur Zimmedariyan by Maulana Nadwi, (The Elite in the Nation: Their Status and Responsibilities), p. 22.

[21] – المصدر السابق، ص: 23./ .23 ibid., p.

العديدة تصبح راكدة، وطبيعة مكتئبة، ويرتفع الروح المعنوية، ويصبح من الصعب الكلام وفعل نفاد الصبر ونفاد الصبر في هذه الفجة، ويجب اعتبارها معيبة مثل عالم التردد والخوف والرعب، أغرس الصبر والمثابرة والتوجيه بالمثابرة والثبات"[22].

سافر الشيخ الندوي-رحمه الله-إلى كثير من دول العالم، وزار الولايات المتحدة والدول الأوروبية عشرات المرات، وخاطب مراراً المسلمين المقيمين هناك، وأشار إلى أمراضهم واقترح عليهم العلاج، وأعطى لهم المحقترحات لإصلاحها، يقول في خطاب ألقاه في الولايات المتحدة:" إن مسؤولية هؤلاء المسلمين (الذين يعيشون في الولايات المتحدة وأوروبا) تزداد بشكل كبير، لو كانت مجرد مسألة إيمان، أو مجرد أفعال وعبادات، كالإسلام والأديان، لكان الأمر أسهل بكثير، لكن إذا كان لونًا، فهو حياة وشغف ووعي وذوق وضمير وشعور ، وأيضًا طبيعة أكثر حساسية وحساسية من الديانات الأخرى، ونوعية الأشياء وقيمتها وجمال الأشياء وقبحها، يدعو إلى تغيير جذري في الإدراك، لذلك تصبح قضيته حساسة وصعبة للغاية، وتتزايد مسؤوليته كثيرًا.

لذلك، لا يمكن للمرء أن يكتفي بمجرد قراءة الكتب والاستماع إلى المقالات، بغض النظر عن مدى رتبتها العالية ودرايتها، لا يمكننا تذوق الإسلام إلا من خلال هذه الكتب والمقالات، رغم أن هذه الكتب والمقالات ضرورية ومفيدة أيضًا، لكن الاعتماد والإنحصار عليهم ليس صحيحًا، بل إن حاجتنا الحقيقية هي منطقة إسلامية، وأجواء إسلامية، ووجود لون إسلامي، حيث نرى الإسلام بأعيننا، ونسمعه بآذاننا، ونلمسه بأيدينا ونشعر به بأحاسيسنا، لهذا نحتاج إلى اجتماعات، ولهذا نحتاج إلى أن نعيش حياة إسلامية، وأن نذهب إلى المناطق التي توجد فيها الحياة الإسلامية ومجتمع مسلم مثالي من أي نوع، حيث يمكننا اعتناق الإسلام كإنسان حي وحيوي، امشي وانظر يتحرك ويتنفس"[23].

---

[22] – خواص، ملت میں ان کا مقام اور ذمہ داریاں للعلامة الندوي، (لخواص في الملة ومقامها ومسؤوليتها)، ص: 18.
Khawas, Millat mein unka Maqam aur Zimmedariyan by Maulana Nadwi, p. 18.

[23] – نئی دنیا امریکہ میں صاف صاف باتیں للعلامة الندوي، (الأحاديث الصريحة في أمريكا)، ص: 86-87.
Nayi Dunya America mein Saaf Saaf Baatein by Maulana Nadwi, (Plain Talk in the New World, America), p. 86-87.

ويؤكد على ضرورة رعاية المجتمع الإسلامي،وقال: "لا يزال المجتمع الإسلامي هنا في مهده ومراحل تطوره الأولى، لذلك يجب أن نكون واعين بمسؤوليتنا في هذا المجتمع الجديد، نحن نؤمن أن هذا المجتمع الذي أسسه بحمد الله لن ينجو فقط، بل سيبلغ نضجه ووعيه، وستكون لديه الوسائل والموارد للتدريب، ما هي تلك الوسائل للتدريب؟ هذا هو الإيمان والعقيدة، والبحث ودراسة المعرفة والثقافة، والرفقة الصالحة والمجاهدة"[24].

مشيرا إلى خطر مهم جدا، وقال: "وأخراً! أشعر بالتهديد هنا في الولايات المتحدة وفي كل مكان ، عندما نكون محصورين في أنفسنا وفي قوقعتنا، مثل ثعبان ملفوف بغمده، ومجرد الدراسة الكتب والبحث العلمي، ولن تبقى علاقتنا بمصادر الإسلام الحقيقية ومراكز الإسلام هذه، يحيا فيه الإسلام على الرغم من ضعفه، في أجواء طغت على الإسلام، وإذا جف مصدر تنامي المشاعر الإسلامية في قلوبنا وأرواحنا، فسيبدأ في الظهور الإسلام الأمريكي والإسلام الأوروبي والإسلام الياباني والإيراني والهندي والباكستاني، لن يتعرفوا حتى على بعضهم البعض، وسيكونون مختلفين عن بعضهم البعض مثل الأمريكي من آسيا، والرجل الياباني عن الرجل الأفغاني، وستكون هناك مجتمعات إسلامية ستكون أذواقها وعقولها وقيمها ومعاييرها مختلفة تماماً"[25].

قال بصراحة في خطاب ألقاه في كندا: "بعد أن عشت هنا تمكنت من إدارة وإرضاء إيمانك وحماية الإسلام لأجيالك القادمة، وبوجودك هنا فإنك تقوم بعمل دعوة الإسلام، وتظهر حياة إسلامية جذابة للآخرين، لذلك لديك الحق في البقاء هنا، ليس فقط الحق ولكن هذا جهاد عظيم وخدمة رائعة، إذا لم يكن الأمر كذلك، وكان هدفك هو كسب الطعام فقط، فإن هذا الغرض لا يتوافق مع موقع وهدف حياة المسلمين"[26].

في خطابه الأخير في الولايات المتحدة، قال الشيخ ستة أشياء بقوة كبيرة: "الخبر الأول لأننا سنبذل قصارى جهدنا حتى لا نفقد عاصمة الإسلام التي لديك، إذا تخيلت مدى قصر حياة هذا العالم وكم ستكون الحياة القادمة وما هي المراحل التي يجب أن تمر بها في الآخرة، عندها سيقف شعرك في نهايته ومن المحتمل أن يزول

[24] – الأحاديث الصريحة في أمريكا، ص: 88.

Al-Ahadith al-Sariha fi America, p. 88.

[25] – المصدر السابق، ص: 89-90. /.89-90 ibid., p.

[26] – المصدر السابق، ص: 97. /.97 ibid., p.

قلقك، لو فعلنا كل شيء في هذا البلد وأهدرنا مكاسبنا في الآخرة وخشية الله، فلن يكون أحداً منا أسوأ منا، كشخص واقعي أقسم بالله أن الاحتياج إلى الحبوب أفضل بكثير من تعريض أنفسنا للخطر، ونضع المستقبل الديني لأولادك على المحك، فإذا حصلنا على كل شيء وخسرنا ثروة الإيمان، فهذه أكبر خسارة"[27].

ثانيًا: استمر في تصحيح نيتك، وافعل ما تفعله لرضا الله، ولا تتدخل في أي منصب أو غرض"[28].

والشيء الثالث هو عدم الإهمال من جانبك، بل استمر في احتساب قلبك وأفعالك ونفوسك، حتى لو أصبحت مختبرك، واستمر في لمسه، لهذا أنصحك بالذهاب إلى بلدك لبعض الوقت بعد عام أو عامين، وابق على اتصال من هناك، فمن الأفضل أن تكون الهند وباكستان والحرمين المقدسين، والبقاء هناك وخدمة أهل حقاني رباني الطيبين الذين يبدون نكران الذات، ويجلسون ويذكرون الله، ويلتقون بهم، أو يقضون بعض الوقت في بيئة دينية، إذا بقيت هنا، فإن العلاقة بين الله والإيمان ستنتهي، كما لو استخدمت البطارية بشكل صحيح، فستختفي المشكلة، وستحتاج إلى خلايا جديدة، وبالتالي بطارية قلبك، فدائمًا أعط خلايا جديدة"[29].

رابعًا، لا تشك في السلفيين وأهل الأمة الذين مارسوا الدين في دوائرهم، فهذا أمر شديد الخطورة.[30]

هذا ما قاله الشيخ بكل وضوح: "لا تعتقد أبدًا أن بعض الناس قد فهموا الإسلام الآن، ولم يفهم أحد الإسلام بأكمله من قبل، فهذا اتهام كبير للإسلام، وهذه وصمة عار على إمكانات الإسلام، تجعله يشك في سيرة القرآن ووضوحه وفهمه، وهو ما أثبته " كتاب عربى مبىن، لسان عربى مبىن"، إلى جانب ذلك، وهو كتاب لم يُفهم منذ ألف واثنتي عشرة سنة، فهل هناك ما يرضي الآن بعد أن اعتُبر صحيحًا؟ لهذا السبب أعتبر كل كتابة تعطي انطباعًا بأن الإسلام كله لم يُفهم منذ ألف ومائة عام، أو أن بعض الحقائق الإسلامية لا تزال في الظلام، أنا لست مستعدًا لقبول ذلك على الإطلاق، وتتطور المبادئ الأساسية للإسلام، وحقائق

---

[27] – الأحاديث الصريحة في أمريكا، ص: 126-127.

Al-Ahadith al-Sariha fi America, p. 126-127.

[28] – المصدر السابق، ص: 129./ ibid., p. 129.

[29] – المصدر السابق، ص:131./ ibid., p. 131.

[30] – المصدر السابق، ص: 132./ ibid., p. 132.

القرآن، وتعاليم الدين باستمرار، وقد اثبت أن نسي العالم الإسلامي هذه الحقيقة تمامًا، بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه كتب أنه لا توجد سنة واحدة خرجت من عالم الإسلام كله، فلو لم تكن موجودة في هذه الزاوية لكانت موجودة في الزاوية أخر"[31].

الأمر الخامس: أنه في حالة حفظ الإيمان في هذه البلاد، فلا يجب أن تفوتك الصلاة، ابذل قصارى جهدك لأداء الصلاة في وقتها، كتبت سيدنا عمر في مرسوم جوال "وأهم شيء في كل أمورك الصلاة، فمن يحميها يحميها، ومن تركها وضيعها لم يترك شيئاً" لذا استمر في الصلاة، واقرأ الفرائض في البازار أو في أي مكان، وحاول أداء باقي السنن قدر الإمكان، فهذه السنن وواجبات النوافل محفوظة أيضًا.

والشيء السادس من الحضارة هنا وهي في أوجها، احم نفسك ، لقد رأيت الكثير من التسامح في بعض الأشياء هنا، أستطيع أن أقول بوضوح أن هناك الكثير من الاختلاط بين الرجال والنساء هنا، حاول قدر الإمكان تجنب الاجتماعات والتجمعات المختلطة، إذا كان هناك اجتماع بمشاركة النساء، وإذا كانت مشاركتك ضرورية هناك، فاجعل دائرتهم منفصلة، حتى في سبيلهم، يقوم المجتمع الإسلامي على حكمة عظيمة، وتحتوي الأحاديث على أقوال قوية لإخلاء الرجال والنساء، يجب على الحضارة الأمريكية ألا تقبل هذه التأثيرات، وتحمي الثقافة الإسلامية والمجتمع الإسلامي بقدر الإمكان، وتحاول الاحتفاظ بسماتها الجيدة ومكوناتها الجيدة"[32].

المبحث الخامس

أهمية دور النساء وفعاليتهنّ في الدعوة

ووصف الشيخ الندوي–رحمه الله– المرأة بأنها عضو كبير في المجتمع الإسلامي وعضو مؤثر وفاعل في الجسم الإسلامي، وقد وُصف دورهم بأنه فعال ومهم لوجود وبقاء مجتمع إسلامي حقيقي، وحثهم على تبني المجتمع الإسلامي، وقال لمخاطبة النساء في الاجتماع الذي عقدته (كلية البنات في قطر):" وهذه المسؤوليات

[31] – هكذا المصدر السابق، ص: 136./ ibid., p. 136.

[32] – الأحاديث الصريحة في أمريكا، ص:138.

Al-Ahadith al-Sariha fi America, p. 138.

ملقاة على عواتقكن ايتها الشابات والبنات المسلمات العزيزات، فأنتنّ إذا أردتنّ أن ينشأ الجيل الجديد مسلماً في اعماق قلبه، ومسلماً في حضارته، ومسلماً في آدابه، وفي أخلاقه، وفي سلوكه، فالمسؤولية تقع عليهنّ، والله سبحانه وتعالى قد قرن الجزئين في المجتمع الإسلامي بآية واحدة في قوله:(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)[33]، وهنالك التاريخ الإسلامي وكتب التراجم حافلة بذكر السيدات الفاضلات، العاملات المربيات المفكرات، والمعلمات المحدثات، المفسرات، الأدبيات، لو بدأت أذكر أخبارهنّ لضاق الوقت، ولكنكنّ ستدرسن إن شاء الله في كتب التراجم، وأيضاً قد خلق الله في النساء كل صلاحية، وكل قدرة للبلوغ إلى الكمال، وفي التقدم في مضمار العلم"[34].

وقال مخاطبا النساء في الهند: "استمعي يا أخت! اجعل أطفالك مسلمين، واجعلهم مسلمين، وعلمهم قراءة الأردية، وتمكينهم من قراءة القرآن، واغرسي التوحيد في قلوبهم، كُفيهم عن الشرك والبدعة والوثنية كفيهم عن كل هذه الأمور رزقنا الله وإياكن التوفيق، إذا تم ذلك ففيه الكثير من الضمانات لبقاء الإسلام وحمايته، وإلا فستكون تبقى الجهود الخارجية والتنظيمية فقط والصحف والمجلات والمؤتمرات مفيدة، لكنها لن تكون كافية"[35].

وقال في مقام آخر: "نقول بوضوح أن على المسلمين أن يظلوا مسلمين في هذا البلد، وأن يكونوا قادرين على قراءة القرآن الكريم، والاستفادة من كتب الأردية، والاطلاع على الشعائر والقواعد الإسلامية، واعتماد الثقافة الإسلامية ، والالتزام بها ، وتعزيز عقيدة التوحيد. المسؤولية تقع على عاتق نسائنا وأطفالنا"[36].

وأشار إلى بعض التقصير عند بعض البنات المسلمات في العصر الحديث ودعا إلى إصلاحه،وقال: إذا خرجت إلى السوق ورأيت النساء يمشين ويتجولن هنا وهناك من دكان إلى دكان ، يبدأ القلب في الخفقان في البازار

---

[33] – سورة آل عمران، الآية: 195. /.Surah Aal-e-Imran, Verse: 195

[34] – محاضرات اسلامية في الفكر والدعوة.

Muhadarat Islamiyya fil-Fikr wad-Dawa (Islamic Lectures on Thought and Da'wah).

[35] – اسلام میں عورت کا درجہ اور اس کے حقوق و فرائض للعلامة الندوي، مترجم: (مقام المرءة في الإسلام وحقوقها وفرائضها)، ص: 116.

Islam mein Aurat ka Darja aur uske Huqooq-o-Faraiz by Maulana Nadwi, Translated as: (The Status of Women in Islam, Her Rights and Duties), p. 116.

[36] – المصدر السابق، ص: 112. /.ibid., p. 112

من هول ما ترى، كأنه لا خدمة لهن في البيت بل لا يعرفن شيء اسمه خدمة البيت، والمؤمن إذا رآى النساء اللواتي يمشين في الأسواق، يبدأ قلبه في الانزعاج، وهذه ليست وظيفة المرأة المسلمة، فاختاري لنفسك أيتهما المسلمة ما اختارته زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنفسهم من الحياء والعفة والحشمة والاستقرار في البيت وخدمة الأهل والانشغال بعبادة الله تعالى، فاختاري ما اختاره الله عز وجل لزوجات رسوله صلى الله عليه وسلم فهو المقتدى به[37]: في قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[38].

قال الشيخ الندوي –رحمه الله–: "إن عصر الجاهلية، وهو زمن سيئ ، هو زمن الجهل، لا تتزيني بمثل هذا المكياج(MAKE UP)، وصلي الصلاة، وادفعي الزكاة، وخصصي مكانا للصلاة، واقرئي التسبيح هناك، واقرئي الكتب، وعلمي أطفالك الدين، عندما يكون لديك وقت، اخدمي زوجك واقضي الوقت في تربية أطفالك"[39].

ووصف في خطاب –ألقاه في كابول (أفغانستان)– التعري والتمرد على القيم الاجتماعية بأنه مقدمة للانحدار القومي، وقال: "لقد درست تاريخ الأمم والحضارات (وخاصة تاريخ تطور الدول والحضارات وانحطاطها) بعناية وتدبر كبيرين، وقد توصلت إلى استنتاج مفاده أن تراجع الأمم والشعوب وتدميرها وخرابها، والسبب الأهم والأساسي لانحدار وفناء الحضارات والحضارات المتطورة والساحرة هو التفكك في نظامهم العائلي، فقدان الاعتدال والتوازن في الحياة الأسرية، واضطراب في العلاقة بين الرجل والمرأة، وإهمال المرأة لبيتها، والفرار من مسؤولياتها، على مر التاريخ، رأينا حضارات متدهورة وأممًا تندفع نحو التدهور والدمار، هناك يبدو أن المرض قد ترسخ لدرجة أن النساء هربن من الحياة المترلية وأهملن مسؤولياتهن، لقد فقدن روح الأمومة، وغفلن من تربية الأولاد، واستقرار البيوت حيث يمكن للرجل أن يحصل على ثروة من السلام والطمأنينة والراحة، وعندما يدخل المترل يشعر وكأنه دخل الجنة، بدلاً من ذلك، يريدون أن يكونوا متساوين مع مسؤوليات الرجال ومشاركتهم المتساوية في مجال

---

[37] – انظر: المصدر السابق، ص: 116. /-See: ibid., p. 116.

[38] – سورة الاحزاب، الآية: 33. /.Surah Al-Ahzab, Verse: 33

[39] – مقام المرءة في الإسلام وحقوقها وفرائضها (المترجم)، ص: 124.

Maqam al-Mar'ah fil-Islam wa Huququha wa Fara'iduha (Translated), p. 124.

العمل، وجنت جنونهن في التنافس معهم في جميع مناحي الحياة، ونتيجة لذلك، نشأت في هذه المجتمعات فوضى عقلية وفكرية، وخروج عام على القانون، وفوضى وأزمة أخلاقية، نتيجة لذلك تسارعت خطواتهم نحو كهف الدمار، هذه قصة قدماء الإغريق، وهذه قصة سقوط الرومان والإيرانيين، وأخشى أن تعاني دول الشرق من نفس المصير، والحقيقة المحزنة هي أن آثار ذلك قد ظهرت بالفعل في مجتمعنا الإسلامي الشرقي"[40].

وكان من ما يميز الشيخ أنه خاطب كل شريحة من الناس بما يناسبهم، ولفت الانتباه إلى تحسين معاملاتهم، من كوخ الفقير إلى إيوان الملك ليصلهم كلهم دعوة دين الحق، ثم شرح أمراض كل طبقة كما تم شرح إجراءات علاجها، واهتم برؤساء الدول وشيوخ الحكومة والمثقفين، وخاطبهم ونصحهم.

وأكد الشيخ في خطاباته العديدة أن المرض الأكبر لدى العامة في الوقت الحالي هو قلة اليقين، نتيجة لذلك هناك تقاعس وإهمال وبُعد عن مظاهر الدين والأمراض المختلفة التي تنشأ، وهذا هو السبب الرئيسي وراء تراجع المسلمين في كل جبهة، وهم يواجهون نكسات.

وقد وصف الشيخ بالتفصيل العيوب في شؤون المجتمع ، مثل الإسراف في الزواج ، والإسراف في الشعائر، والتوزيع غير المشروع للميراث، والعيوب في المعاملات، وقال:" وعد من هنا أنك ستتبع الآن قانون الشريعة، ما مشكلة هذا المهر، فالأولاد لديهم قائمة مطالب طويلة، وشروطه معروضة، عندما لا تتحقق تحترق الفتيات البريئات، وهناك مئات الحوادث في البلاد"[41].

ثم يقول: "أنتم أمة الرحمة للعالمين، وأن يكون هذا القهر في المجتمع الهندي وفي المجتمع الهندي وفي مئات المواقع أثناء وجودك هناك! العقل ليس مستعدا لقبوله، ما كان يجب أن يحدث لك، حتى لو كان بين يديك."[42].

---

[40] – من نهر كابل إلى نهر يرموك(المترجم)، ص:33-34.

From Kabul River to Yarmouk River (Translated), p. 33-34.

[41] – الجهد المسلسل (المترجم)، ص: 128.

Al-Juhd al-Musalsal (The Continuous Effort), (Translated), p. 128.

[42] – المصدر السابق، ص: 129./ ibid., p. 129.

من منصة مجلس قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ودار العلوم ندوة العلماء، أطلق الشيخ "حركة رسالة الإنسانية لإصلاح المجتمع" بالإضافة إلى ذلك ، في اجتماعات المدارس، وفي خطب الزواج، وجه الشيخ دعوة فعالة لبناء المجتمع الإسلامي وأعطت جهوده ثمارها بفضل الله ، وهذا باب منور في حياة الداعية الشيخ الندوي-رحمه الله- وعزمه ، ولا يمكن لأي مؤرخ أن يتجاهله.

المبحث السادس: تذكية الباطن و اخلاص العمل

تزكية الباطن

كما أن الطهارة الخارجية ضرورية، كذلك الطهارة الداخلية لا بد منها، يقول الشيخ الندوي: لا يمكن للإنسان أن يكتمل بغير طهارة القلب، ويفسر –رحمه الله- الطهارة الباطنية والكمال والآداب بـــ "الفقه الباطني"

قال الشيخ الندوي: (إذا نظر المرء إلى الشريعة الإسلامية وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يتبين أنها قسمت الدين إلى قسمين: أحدهما يتعلق بالأفعال والأفكار، كالوقوف والقعود والركوع والسجود والتلاوة والتمجيد والذكر والدعاء والقواعد والعبادات.

النوع الثاني: ما يتعامل مع الكيفيات الباطنية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بهذه الأعمال والحركات والتي تظهر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله كلها وفي ميدان الجهاد وفي كل مكان، ومعاني هذه الكيفيات: الإخلاص والمحاسبة، والصبر والثقة، والزهد والتضحية بالنفس، والإيثار والكرم، والأدب والتواضع، والخضوع، والدعاء، وانكسار القلب وقت الصلاة، وتفضيل الآخرة.

... إذا كان من الممكن تسمية المعرفة التي تتعامل مع التفسير الأول بـــ "الفقه الظاهري"، فإن المعرفة التي تفسر هذه الشروط وتوجه تحقيقها يمكن أن يطلق عليها "الفقه الباطني".[43]

[43] – تزكية و احسان يا تصوف و سلوک للعلامة الندوي، (التزكية والإحسان)، ص15-16.
Tazkiyah-o-Ihsan ya Tasawwuf-o-Sulook by Maulana Nadwi, (Purification and Excellence), p. 15-16.

يقول الشيخ الندوي–رحمه الله–: "إحسان وفقه الباطن كلها حقائق علمية وشرعية، ولا يمكن تحسين الحياة الاجتماعية ولا الاستمتاع بها حقًا بدونها"[44].

وانتقد الشيخ بشدة من يسمون بالصوفيين الذين استخدموا مصطلح الصوفية كأداة لأغراضهم الدنيوية، واكتسبت من خلاله المال والشرف، لكن هؤلاء السادة الذين طالبوا بالتطهير الحقيقي للناس، والذي يسمى بالإحسان وفقه الباطن، وصفهم الشيخ بأنهم استمرار لتجديد الدين.

قال الشيخ الندوي–رحمه الله–: "لا شك في أنه لولا هؤلاء لكان المجتمع الإسلامي قد مات منذ زمن طويل. حتى يوقف فرع الدين الذي هو فرع من فروع النبوة (أي تطهير الروح والفقه الباطني) نهائيا"[45].

أمضى الشيخ حياته كلها في دعوته، وزينها بطهارة النفس وإشراقها، وطهارة القلب، والإخلاص لله تعالى، والتواضع والطاعة، والصبر والثقة، والزهد والولاء، هذه هي السمات التي هي سر قوة دعوة الشيخ رحمه الله.

إخلاص العمل

الإخلاص هو معيار العمل، والعمل إذا تم بدون نية أو بنية خاطئة، فهو إذن ليس مقبولا عند الله، وقد أشار الشيخ الندوي رحمه الله مرارًا وتكرارًا إلى ضرورة وأهمية ذلك، وأشار في خطب مختلفة إلى الحديثين اللذين يقتضيان أيضا الإيمان والمحاسبة على صيام رمضان والتراويح: (من صام رمضان، إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه)[46]، (من قام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه)[47]، في حين أن كلاهما يتم عادة بقصد رضا الله، إن مرض الأمة الحقيقي هو ضعف النية وليس سوء النية، وقال:" كل عمل يقوم به الإنسان فقط بإرضاء الله وبشغف وإخلاص وطاعة هو وسيلة لبلوغ القرب من الله وأعلى مستوى من

[44] – المصدر السابق ،ص16–17. /.17–ibid., p. 16–17.

[45] – المصدر السابق، ص: 22–23. /.23–ibid., p. 22–23.

[46] – أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب: صوم رمضان احتسابا من الإيمان، 16/1، الرقم: 38.

Narrated by Al-Bukhari in his Sahih, Book of Fasting, Chapter: Fasting Ramadan out of faith and seeking reward, 1/16, No. 38.

[47] – أخرجه الإمام مالك في الموطأ، باب: الترغيب في الصلاة في رمضان، 156/2، الرقم: 376.

Narrated by Imam Malik in Al-Muwatta, Chapter: Encouragement for prayer in Ramadan, 2/156, No. 376.

الإيمان واليقين، وأن الدين الخالص خالٍ من كل مكروه، سواء كان جهاداً وقتالًا في سبيل الله، أو حكماً وإدارة، أو انتفاعًا بالنعم الدنيوية، أو تحقيق متطلبات الروح المشروعة، أو السعي وراء القوت والعمل الشرعيين، كن أو أن يكون فنانًا شرعيًا أو استمتع بأسرة أو بحياة زوجية، على العكس من ذلك، أي عبادة أو خدمة دينية تخلو من طلب رضا الله والسعي إليه، مؤمنًا بأوامر الله ونواهيه وقيامها، والمغطاة بحجاب الإهمال ونسيان الآخرة، وسواء كان هذا الفعل فرضا كصلاة وهجرة وجهاد وأذكار وتمجيد واستشهاد في سبيل الله، فإن كل من يفعل مثل هذا الفعل، سواء كان عالماً أو مجاهداً أو خطيباً، سيواجه الحرمان من الثواب، بل هناك خطر أن تصبح هذه الأعمال والخدمات حجابا بينه وبين الله"[48].

الخاتمة

1) إن للشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمه الله في كتاباته حول السيرة النبوية منهجية تربوية وأخلاقية متكاملة لإصلاح المجتمع بين أفراد المجتمع ، حيث يرى أن إصلاح المجتمع لا يتحقق إلا بالرجوع إلى النموذج العملي المتمثل في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم فهو القدوة في التعامل، والرفق، والعدل، وإصلاح ذات البين، والتواضع مع الكبير والصغير، ويؤكد أن إصلاح العلاقات يبدأ بإصلاح القلوب، عبر غرس الإيمان، وتقوية الوازع الداخلي، وتنمية الشعور بالمراقبة والتقوى، لأن المعاملة ثمرة العقيدة.

2) وركز الشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمه الله على تهذيب النفس، وضبط الغضب، وتحسين الأخلاق، والصبر على أذى الآخرين، فالسيرة النبوية صلى الله عليه وسلم في نظره مدرسة لصناعة الإنسان المتوازن الذي يحسن معاشرة أهله ومجتمعه، ويوضح أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أقام مجتمعًا راقيًا بالرحمة لا بالعنف، وأصلح النفوس بالتسامح، والعفو، والإحسان، وهذا هو الأساس في إصلاح المجتمع داخل الأسرة والمجتمع.

3) وشدد الشيخ الندوي رحمه الله على عدل الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع معاملاته: بين أزواجه، وصحابته، وأهل بيته، مما يجعل العدل ركنًا مهمًّا في إصلاح العلاقات الاجتماعية،يشير إلى أسلوب

[48] – دستور حیات للعلامة الندوي، (دستور الحياة)، ص: 218.
Dastoor-e-Hayat by Maulana Nadwi, (The Code of Life), p. 218.

الرسول صلى الله عليه وسلم في مخاطبة أصحابه وأهله بالكلمة الطيبة والراقية، وتهدئة النفوس، ومراعاة مشاعر الجميع، مما يعكس أهمية الحوار البنّاء في حياة المسلم، ويوضح الشيخ الندوي رحمه الله أن منهجية الرسول صلى الله عليه وسلم في الإصلاح كان عمليًا حقيقيا، يعالج المواقف بأسلوب مناسب للزمان والمكان والحال، بعيدًا عن التشدّد وعن التساهل المفرط.

بعد استعراض هذه المقالة المتنوعة، يتبيّن لنا أنّ منهجية الشيخ الندوي ـــ رحمه الله ـــ في توجيه الأمة وإصلاحها يقوم على رؤية شمولية متكاملة، تستمد أصولها من الهدي النبوي وتستلهم قوتها من القيم الإيمانية الكبرى، فقد أكّد الشيخ رحمه الله، على دور العلماء بوصفهم مصابيح الهدى وحملة الرسالة، وأبرز مسؤولية طلبة المدارس الإسلامية في الحفاظ على هوية الأمة العلمية والروحية،كما وجّه خطابه إلى العسكرية الإسلامية لِيُغرس فيها الوعي الرسالي والانتماء العقدي، ونبّه قادة الأمة إلى مسؤولياتهم الثقيلة في رعاية مصالح الناس وإقامة العدل.

و لم يغفل الشيخ الندوي رحمه الله الدورَ المحوريّ للمرأة المسلمة، فبيّن أهمية مشاركتها الفاعلة في الدعوة، باعتبارها شريكًا أصيلًا في حمل الأمانة، ثم دعا إلى إصلاح الباطن وتزكية النفس، لأن صلاح الظاهر فرع عن صفاء القلب، وأكّد في ختام منهجه على إخلاص العمل، لأنه روح الأعمال وميزان القبول عند الله تعالى.

وهكذا يظهر لنا بوضوح أن مشروع الشيخ الندوي رحمه الله الإصلاحي ليس خطابًا جزئيًا أو توجيهات متفرقة، بل هو منظومة متناسقة تهدف إلى بناء الإنسان المسلم في فكره وسلوكه وأخلاقه، وترسّخ المعاني الإيمانية التي تجعل من الأمة قوة فاعلة وناجحة في أداء دورها الحضاري، وبذلك يظلّ تراثه رسالةً حيّة تستحق الدراسة والاستلهام، لما فيه من رؤى تربوية وفكرية تجمع بين أصالة المنهج وواقعية التطبيق.

التوصيات:

على الداعي أن يبدأ أولاً بصحة العقائد على منهج القرآن والحديث، ومنهج السلف الصالح والعلماء الراسخين في العلم أهل السنة والجماعة، وأن يزيل أي نوع من الفساد والضعف فيها، كما ينبغي توجيه وانتباه الناس إلى ذلك.

كما أن في العبادات المشروعة (كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والجهاد وغيرها)، يجب الاهتمام بتعلمها وتعليمها والعمل بها ظاهريًا وباطنيًا، حسياً وروحيًا، ويجب بذل كل جهد للسير على اتباع قدوتنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

ولا بد من ضبط القواعد والمسائل الدينية لا سيما في الأركان (الصلاة، والصيام، والزكاة وكذلك الحج لمن استطاع إليه سبيلا)، وكذلك في الحلال والحرام، والجواز وعدمه، والفرائض، والواجبات، والسنن، يجب أن يكون هناك وعي ديني كامل بها.

وأيضاً من الضروري لفت انتباه الناس لأداء العبادات المذكورة كعبادة وليس كعادة كحال كثير من الناس للأسف؛ لأنه بالعادة تفقد العبادة روحها والغرض من فعلها فلايترتب عليها ثوابها أو ينقص من ثوابها بمقدار نقص استشعار التعبد فيها.

ويجب أن يصبح من عادات الداعي اليومية تلاوة القرآن الكريم، فإنه يلعب دوراً مهمًا في جعل الحياة جميلة أولا وجعل دعوته لها أثرا واضحا ملموسا في الناس، فهو أمر مهم جدًا للداعي، وأجر الآخرة لا حصر له.

بعد العقائد والواجبات وحقوق الله، فإن مسألة حقوق العباد هي قبل كل شيء وأهمها، وعدم التهاون فيها أبدا فإن الله ربما يغفر للعبد حقوقه سبحانه إن شاء لكن حقوق العباد ومطالبهم لا يغفرها الله حتى يرجع لصاحب الحق حقه أو يتحلل منه؛ لذلك يحتاج الداعي إلى الاهتمام في هذه الأمور أيضًا، وإطلاع الناس على ذلك، وحثهم على إصلاح معاملاتهم وأداء حقوق العباد.

كذلك يجب على الداعاة أن يحسنوا أخلاقهم ويهتموا بجانب تطهير النفس وتزكية القلب من الرذائل وتزينه بالفضائل، لأنهم القدوة للأمة، وتفعل الأمة كما يفعلون.

أيضاً يجب أن يجعل بعض الأذكار والوظائف الخاصة معمولاً له، حتى يكون متعلقا بالله عز وجل في كل أحواله أولا وحتى تؤتي دعوته ثمارها بفضل الله سبحانه.

وأيضاً يقرأ حياة السلف الصالحين وأهل الله، ويستخلص منها العبر.

أختتم هذا الفصل بكلمات الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وليكن لنا حظ في مراقبة الموت، واهتمام زائد بحسن الخاتمة، بإن العبرة بالخواتيم، وقد عرف جميع أولياء هذه الأمة، وعارفوها ومحقّقوها، والذين شهدت لهم الخلائق بالاستقامة وعلو المكانة عند الله والقبول في الناس ورويت عنهم كرامات وخوارق ولهجت الألسنة بالثناء عليهم والشهادة لهم بالاهتمام التي لامزيد عليه، بحسن الخاتمة والموت على الإيمان حتى كان ذلك لهم الشغل الشاغل، والهم الأكبر يظلون وجلين مشفقين غير مدلّين بحسن عملهم، واعتقاد الناس فيهم، غير معتمدين على سعيهم وجهدهم ومتذكرين للحديث: (لن ينجي أحدا منكم عمله) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا)[49]، ... والله الموفق للسداد والصواب وإليه المرجع والآب"[50].

[49] – أخرجه البخاري، باب القصد والمداومة على العمل، 98/8.

Narrated by Al-Bukhari, Chapter: Moderation and persistence in action, 8/98.

[50] – الأركان الأربعة، ص: 198.

Al-Arkan al-Arba'ah (The Four Pillars), p. 198.